تفسير ابن كثير

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا

وقوله : (وإني خفت الموالي من ورائي) : قرأ الأكثرون بنصب " الياء " من (الموالي)

على أنه مفعول ، وعن الكسائي أنه سكن الياء ، كما قال الشاعر : كأن أيديهن في القاع

الفرق أيدي جوار يتعاطين الورق وقال الآخر : فتى لويباري الشمس ألتق قناعها أو القمر

الساري لألقى المقالداومنه قول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي : تغاير الشعر فيه إذ سهرت

له حتى ظننت قوافيه ستقتلوقال مجاهد ، وقتادة ، والسدي : أراد بالموالي العصابة . وقال

أبو صالح : الكلالة . وروي عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أنه كان

يقروها : " وإني خفت الموالي من ورائي " بتشديد الفاء بمعنى : قلت عصباتي من بعدي

. وعلى القراءة الأولى ، وجه خوفه أنه خشي أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفا سيئا ،

فسأل الله ولدا ، يكون نبيا من بعده ، ليسوسهم بنبوته وما يوحى إليه . فأجيب في ذلك ،

لا أنه خشي من وراثتهم له ماله ، فإن النبي أعظم منزلة وأجل قدرا من أن يشفق على

ماله إلى ما هذا حده أن يأنف من وراثته عصباته له ، ويسأل أن يكون له ولد ، فيحوز

ميراثه دونه دونهم . هذا وجه .الثاني : أنه لم يذكر أنه كان ذا مال ، بل كان نجارا يأكل من كسب يديه ، ومثل هذا لا يجمع مالا ، ولا سيما الأنبياء ، عليهم السلام ، فإنهم كانوا أزهد شيء في الدنيا .الثالث : أنه قد ثبت في الصحيحين من غير وجه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة " وفي رواية عند الترمذي بإسناد صحيح : " نحن معشر الأنبياء لا نورث " وعلى هذا فتعين حمل قوله : (فهب لي من لدنك وليا يرثني) على ميراث النبوة؛ ولهذا قال : (ويرث من آل يعقوب) ، كما قال تعالى : (وورث سليمان داود) [النمل : 16] أي : في النبوة؛ إذ لو كان في المال لما خصه من بين إخوته بذلك ، ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة ، إذ من المعلوم المستقر في جميع الشرائع والملل أن الولد يرث أباه ، فلولا أنها وراثه خاصة لما أخبر بها ، وكل هذا يقرره ويثبته ما صح في الحديث : " نحن معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة " .